بسم الله الرحمن الرحيم

لا أعز على الإنسان من ولده، ولا أحب إليه من فلَذَةَ كبده وثمرة قلبه، أحب إليه من نفسه، والمرء مفتون بابنه، والأولاد هبة ربنا، وزينة دنيانا، وذخر أخرانا، ولقد راعى الإسلام الطفولة، وأوضح حقوقها بل لا يوجد قانون في الأرض أشمل ولا أكمل في مراعاة حقوق الطفولة من الاسلام، مراعاة قبل الوجود، ومراعاة بعده، فقد حث الإسلام على اختيار الأم الصالحة وبيَّن صفاتها وأمر بالذكر الخاص عند إرادة طلب الولد؛ لحفظه من الشيطان، وأرشد إلى اختيار الاسم الحسن؛ فللاسم أثرٌ في المسمى، وحثَّ على الدعاء ذي الذرية بالصلاح، وأخبر أن دعاء الوالد لولده مستجاب، ونهى عن الدعاء عليه، وأمر بحسن تربيتهم وأوجب ذلك، وأخبر أن الوالد سيسأل عن ولده وحث على تعليمه ما ينفعه، وأمر بتعاهد صلاته ودينه، ورغَّب الآباء بأن يكونوا قدوة حسنة للأبناء، وأن يتعاهدوهم بالوعظ والوصايا وحذرهم من تضييعهم وإهمال تربيتهم، وبيَّن أن من لم يرحم الصغار فليس على هدي الإسلام في معالم تعجز الأسفار الكبار عن حمل بيانها.

بل المتأمل في تعامل نبينا ﷺ للأطفال، ويقف على هديه في ذلك يرى قانونًا متكاملًا جامعًا، ومنهاجًا قويمًا شاملًا، أخلاق وحسن تعامل، وتقويم وحسن تربية، ورفق ورحمة متناهية، ولا غَرْوَ في ذلك؛ فالإسلام دين التربية ونبينا ﷺ حاز كمال الاخلاق وبعثه الله رحمة للعالمين وجعله قدوة إلى يوم الدين.

والذرية أيها المسلمون بطيبها وصلاحها، وقرة الأعين بها؛ ولذلك كان من دعاء المرسلين والصالحين ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: 38]، ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74]، لم يطلبوا أي ذرية إنما صالحة طيبة تَقرُّ بها الأعين؛ فليس كل ذرية نافعه فمن الأولاد من يكون وبالًا على والديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14]، ولمَّا نادى نوح ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: 45]، جاء الجواب من رب العالمين: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: 46]، فمن لم يكن طيبًا كان وبالًا على أهله، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80].

ولذلك عظمت مسئولية التربية والعناية، وأخبر النبي ﷺ أن الله سائل كل راعٍ ما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته، وما من عبد يسْترعِيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة؛ فمن أراد السلامة والسعادة وقرة العين؛ فليحسن التربية، وتأمل: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، لما رباه أحسنا تربيته صغيرًا توجه إلى ربه داعيًا لهما كبيرًا، «وولدٍ صالحٍ يدعو لهُ»(مسلم (1631))،

إن التربية والرعاية تنطلق من قول ربنا: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]، فالقصد أن تكون سببًا في وقايتهم من النار، ولذلك أعظم رعاية، حثُّهم على طاعة الله، وإقام الصلاة ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: 123]، «مُرُوا أولادَكم بالصَّلاةِ وهم أبناءُ سَبعِ سِنينَ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ» (سنن ابي داود (495)). «يا غلامُ إني أُعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يَحفظْكَ احفَظِ اللهَ تَجدْهُ تُجاهَك، إذا سألْتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ»(الترمذي (2516)).

وقدكان السلف الكرام إذا نشأ لأحدهم ولد شغلوه بحفظ القرآن، وسماع الحديث فيثبت الإيمان في قلبه، وكانوا يغرسون في قلوب أولادهم سيرة نبيهم ﷺ، وسيرةَ أصحابه وحبَّهم فتنبت الذرية نباتًا حسانًا، وتقرُّ بهم العين وتزدان بهم الدنيا، ثم يتمم الله النعمة بلم الشمل في الجنة. قال نبينا ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ المؤمنِ إليه في درجتِهِ وإنْ كانوا دونَهُ في العملِ لتَقَرَّ بِهِمْ عينُهُ ثمَّ قرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: 21]» (السلسلة الصحيحة (2490).).

فكلما ازداد المؤمن صلاحًا ارتفعت درجة ذريته معه في جنة ربه، بل صلاح الآباء حفظ للأبناء، وتأمل ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]، فحفظ الله مالهما بصلاح أبيهما.

قال سعيد بن المسيب لابنه: «لَأَزِيدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ، رَجَاءَ أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ»
(جامع العلوم والحكم (1/ 467))

وقال ابن المنكدر: «إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ» (جامع العلوم والحكم (1/ 467)).

فالله الله في التربية والرعاية اعرفوا الحقوق عباد الله وأدُّوها، واسلكوا الجادة والزموها، فليس بعد سعادة الإيمان من سعادة، وليس بعد طريق السنة من هداية، فنسأل الله عز وجل أن يشملنا برحمته، وأن يغفر لنا بعافيته، وأن يُولِينا عافيته، وأن يحفظ علينا ديننا وذرياتنا، وأن يوفقنا إلى ما يرضيه عنا.

من اصداراتنا